

ندوات تلفزيونية - قناة سوريا الفضائية - الاسلام والحياة - الدرس (١٧-٢٠) : إضاءة قرآنية لما بعد أحداث ٢٠٠١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-١٠-٠٤

## بسم الله الرحمن الرحيم

### إضاءات قرآنية :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أعزائي المؤمنين ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، إن محور هذا اللقاء الطيب . إن شاء الله . إضاءة قرآنية لما حدث ، فالعبرة أيها الإخوة لا أن نأخذ علم بما حدث ، ولكن العبرة أن نفهم الذي حدث فهماً علمياً ، ولعل من أبسط تعريفات العلم الوصف المطابق للواقع مع الدليل ، فما أكثر التحليلات والتفسيرات للأحداث الكبرى التي نشهدها اليوم ، لكن البطولة أن نملك التفسير الصحيح ، والتفسير العلمي المطابق للواقع .

أيها الإخوة الكرام ؛ لو أن إنساناً يركب مركبةً ، وفي لوحة البيانات تألق ضوء أحمر ، تألق أو لم يتألق ليست هي المشكلة ، إنه تألق ، ولقد رأى راكب المركبة تألقه رأي العين ، ولكن لماذا تألق هذا الضوء ؟ إن فهمه أنه ضوء تزييني فقد أحرق المحرك ، وسوف يدفع مبالغ طائلة ، وسوف تتعطل الرحلة ، وسوف يضيع الهدف ، أما إن فهمه أنه ضوء تحذيري أوقف المركبة ، وأضاف الزيت ، وتابع الرحلة ، وحقق الهدف .

هل العبرة أن آخذ علماً بالذي حدث ؟ أم أن أفهم لماذا حدث الذي حدث ، وما التفسير الصحيح العلمي لما حدث ؟

أيها الإخوة الكرام ؛ الأحداث تترى ، وتتابع ، ولكن البطولة أن نفهمها فهماً علمياً صحيحاً .

### التفسير الصحيح للأحداث الجارية من خلال القرآن :

السؤال الآن : من هي الجهة التي تملك التفسير الصحيح ؟ إنها الجهة الصانعة ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَلَا يَنْبُئُكَ مِنْهُ خَبِيرٌ ﴾

[ سورة فاطر الآية : ١٤ ]

قد تستمع إلى آلاف التفسيرات ، وإلى عشرات التحليلات ، ولكن ينبغي أن تعتمد التفسير الذي جاء به الوحيان الكتاب والسنة ، أنت حينما تعالج آله ، وتبحث عن خصائصها قد تصيب ، وقد تخطئ

، وفي أغلب الأحيان تخطئ ، أما حينما تسأل مخترعها ، عن دقائقها ، وعن تفاصيلها ، ففي الأعم الأغلب أنك لا تخطئ ، لأن الوحي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .  
أولاً : الإله الذي خلقنا هل يتوهم المتوهمون أنه خلاق ، وليس فعلاً ، أم أنه إله عظيم خلاق وفعال ، قال تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾

[ سورة الزخرف الآية : ٨٤ ]

﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾

[ سورة الكهف الآية : ٢٦ ]

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾

[ سورة هود الآية : ١٢٣ ]

﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[ سورة الزمر الآية : ٦٣ ]

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾

[ سورة الزمر الآية : ٦٢ ]

﴿ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾

[ سورة الأعراف الآية : ٥٤ ]

﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾

[ سورة فاطر الآية : ٢ ]

حينما تؤمن كما يؤمن بعض الشاردين عن الله أن الله خلاق ، وليس فعلاً تقع في متاهة كبيرة ، أما حينما تؤمن أن الله خلاق ، وفعال ، يفعل ما يريد بيده ، كل شيء هو الذي يعطي ، وهو الذي يمنع ، هو الذي يرفع ، وهو الذي يخفض هو الذي يعز هو الذي يذل ، حينما تؤمن أن الله فعال عندئذ ينعقد الأمل على الله عز وجل ، عندئذ تستجيب لأمر الله ، عندئذ تصطحب معه ، عندئذ تتوكل عليه .

أيها الإخوة الكرام ؛ يمكن أن نستنبط من هذه المقدمة أن كل شيء وقع إرادته الله ، لأنه لا يعقل ، ولا يقبل أن يقع في ملك الله ما لا يريد ، لا يمكن أن يقع في ملك الله إلا الذي يريد ، نستنبط من هذه الحقيقة التي تتناسب مع أسماء الله الحسنى ، ومع صفاته العليا أن كل شيء وقع إرادته الله ، إرادته ليس معنى هذا أنه أمر به ، وليس معنى هذا أنه رضي به ، ولكن إرادته أي سمح به ، لأن الإنسان في الأصل مخير ، ولا يعقل أن يغير الله سبحانه وتعالى هوية الإنسان فينقله من الاختيار إلى الاضطرار .

جاء برجل إلى سيدنا عمر رضي الله عنه ، هذا الرجل شارب خمر ، فقال الخليفة سيدنا : عمر أقيموا عليه الحد ، قال : والله يا أمير المؤمنين ، إن الله قدر عليّ ذلك ، فقال : أقيموا عليه الحد مرتين ، مرةً لأنه شرب الخمر ، ومرةً لأنه افترى على الله ، قال : ويحك يا هذا ، إن قضاء الله لم يخرجك من الاختيار إلى الاضطرار .

إذاً كل شيء وقع إرادته الله لا يليق بالوهمية الله عز وجل ، أن يقع في ملكه ما يريد ، وكل شيء وقع إرادته الله ، وإذا أراد الله شيئاً وقع ، لكن إرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة ، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق كيف ؟

الإنسان أحياناً بسبب ضغط شديد قد يتصرف تصرفاً غير حكيم ، أو بسبب إغراء شديد ، قد لا يكون حكيماً في أفعاله ، أو حينما يجهل حقيقةً يتصرف بخلافها ، هل يليق بذات الله العلية أن يتصف بهذه الصفات ؟ مستحيل ، إذا أراد الله شيئاً وقع ، وإذا وقع الشيء فقد إرادته الله ، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة ، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق ، قال تعالى :

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُدْئِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرِ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[سورة آل عمران الآية : ٢٦]

لم يقل : بيدك الخير والشر ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

(( وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه]

الشر طبيعته سلبية ، أن مخلوقاً كالإنسان أودعت فيه الشهوات ، والشهوات يمكن أن يرقى بها إلى الله مرتين ، يرقى بها إلى الله صابراً ، ويرقى بها إلى الله شاكراً ، أودعت فيه الشهوات ، وأعطى عقلاً يدرك ، أعطى فطرةً ، ثم أعطى منهجاً ، فما هو الشر ؟ الشر إنسان ينطلق بدافع من شهواته من دون منهج ، ومن دون تعقل فيقع الشر .

الشر مختص بالإنسان المخير ، الذي أودعت فيه الشهوات ، ليرقى بها في الأصل إلى رب الأرض والسموات ، فتحرك بدافع منها تحركاً عشوائياً من دون تعقل ، ومن دون منهج يسير عليه ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾

[سورة القصص الآية : ٥٠]

أيها الإخوة الكرام ؛ حقيقة لا بد من توضيحها ، لو أن إنساناً . لا سمح الله . تلقى ضربةً بعضاً ، إذا كان عاقلاً هل يحقد على العصا ؟ إنها أداة ، لكنه ينبغي أن يحقد على الضارب ، فإذا كان الضارب هو الله ، والله عز وجل أسماؤه حسنى ، وصفاته فضلى ، وأن الطغاة في الأرض هم عصي بيده الله ، ألم يقل الله عز وجل في معرض الحديث عن بعض أنبيائه :

﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ \* إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ

بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[سورة هود الآية : ٥٥-٥٦]

إنهم وحوش كاسرة مخيفة مفترسة ، لكنها مربوطة بأزمنة محكمة ، فعلاقة هذا الإنسان الضعيف مع الوحوش أم مع من يملكها ؟ الحقيقة أن علاقته مع من يملكها ، فإذا تلقى الإنسان ضربةً قاسيةً من جهة أرضية فينبغي إن كانت عقيدته صحيحة أن يعتقد يقيناً أن الله سمح بهذا المصاب أن يحل به

لحكمة بالغة ، فبدل أن يحكم على الضارب يراجع نفسه ، الكرة في ملعبه ، هناك خلل في علاقته مع ربه .

فالإنسان حينما تحف به المشكلات . لا سمح الله ولا قدر . حينما يصاب بمصائب كثيرة ، ينبغي أن يأخذ هذا الموقف ، الحقيقة أن أهل الدنيا الشاردين عن الله يفهمون المصائب فهماً قهرياً ، يفهمونها فهماً قهرياً ، أرضياً شركياً ، وهذا القهر ينتهي بهم إلى اليأس ، وهذا القهر ينتهي بهم إلى الاستسلام ، وهذا القهر ينتهي بهم إلى الخنوع ، إلى الذل ، إلى الانبطاح ، أما إذا كان المؤمن موحداً ، وكان توحيده قوياً فلا يفهم هذه المصائب فهماً قهرياً شركياً أرضياً ، بل يفهم هذه المصائب فهماً توحيدياً سماوياً ، فيه حكمة بالغة.

إذاً لمجرد أنك توحّد ، لمجرد أنك تعلم علم اليقين أن كل شيء وقع إرادته الله ، وأن الله سبحانه وتعالى لا يعقل ، ولا يقبل أن يسوق مصيبةً بلا سبب ، ومن دون حكمة ، قال تعالى :

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾

[ سورة الشورى الآية : ٣٠ ]

ما من عثرة ، ولا اختلاج عرق ، ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم ، وما يغفر الله أكثر . إذاً أنا حينما أفهم الأحداث الجسام ، حينما أفهم المصائب الكبيرة فهماً قهرياً شركياً أرضياً يجب أن يقودني هذا الفهم إلى اليأس ، والضعف ، والتطامن ، والاستسلام ، والخنوع ، والانبطاح ، والذل ، أما حينما أفهم الحوادث الكبيرة والمصائب الجلييلة ، حينما أفهمها فهماً توحيدياً ، فهماً إلهياً ، فهماً قرآنياً لا أحقد على أحد ، بل أراجع نفسي ، لأن الله عز وجل يقول :

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ ﴾

[ سورة النساء الآية : ١٤٧ ]

لأن الله غني عن تعذيبنا ، قال تعالى :

﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

[ سورة هود الآية : ١١٩ ]

خلقهم ليرحمهم ، خلقهم ليسعدهم ، لكنهم خالفوا منهج الله عز وجل ، فدفعوا الثمن ، ذلك أنه ما من مشكلة على وجه الأرض إلا بسبب خروج عن منهج الله ، وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب الجهل ، والجهل أعدى أعداء الإنسان .

آية كريمة أيها الإخوة تحير العقول ، يقول الله عز وجل :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

[ سورة الأنفال الآية : ٣٣ ]

في حياة النبي e معنى الآية ظاهر ، ما دام النبي صلى الله عليه وسلم بين ظهرائي أمته فهم في مأمن من عذاب الله ، لكن بعد أن انتقل النبي الكريم e إلى الرفيق الأعلى كيف نفهم الآية ؟ قال علماء التفسير : مادامت سنة النبي صلى الله عليه وسلم مطبقة في حياتهم ، مطبقة في بيوتهم ، مطبقة في أعمالهم ، مطبقة في كسب أموالهم ، مطبقة في إنفاق أموالهم ، مطبقة في اختيار

زوجاتهم ، مطبقةً في تربية أولادهم ، فهذه السنة المطبقة هي أمان من عذاب الله ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يسوق عذاباً من دون سبب .

أيها الإخوة الأحباب ؛ إذا نستببط من هذا أن الأحداث الجسام إما أن نفهمها فهماً تسلطياً ، وهذه كلمة قرآنية .

### ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ ﴾

[ سورة النساء الآية : ٩٠ ]

وإما أن نفهمها فهماً تسلطياً لسبب فينا ، لعلنا فينا ، لانحراف في سلوكنا ، لنقلت من منهج ربنا ، لتقصير في أداء واجباتنا ، وإما أن نفهمها فهماً قهرياً شركياً أرضياً ، هذا الفهم القهري الشركي الأرضي يقودنا إلى اليأس والخنوع والذل ، لذلك قال تعالى :

### ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾

[ سورة الشعراء الآية : ٢١٣ ]

يعني أن أحد أكبر أسباب عذاب الإنسان أن يشرك ، أن يرى أن هذه المصيبة جاءت من فلان ، لأن الله عز وجل يقول :

### ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

[ سورة لقمان الآية : ١٧ ]

قد أتى المصاب بقضاء من الله وقدر ، فينبغي أن تصبر ، وهذا الصبر يحتاج إلى عزيمة إيمانية قوية ، ولكن الله يقول في آية دقيقة :

### ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

[ سورة الشورى الآية : ٤٣ ]

أحياناً يأتي القضاء والقدر على يد جهة أرضية ، أنت ينبغي أن تعالج الأمر ، أن تدافع عن نفسك ، أن تنتصر ، أن تقضي على البغي والعدوان ، لكن ينبغي ألا تشعر أنك مقهور .

### ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ ﴾

على قضاء الله وقدره ، ولم يحقد على من كان هذا القضاء بسببه .

### ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

واللام لام التوكيد .

أيها الإخوة الأحباب ؛ أعظم ما في الإيمان أن الإنسان إذا ساق الله له مصيبةً يحاسب نفسه أشد الحاسب ، يرجع إلى سلوكه ، يرجع إلى منهج ربه ، يرجع إلى تقصيره ، توضع الكرة في ملعبه ، إن هذا الفهم الدقيق للمصائب يرقى بنا إلى الله عز وجل ، يدفعنا إلى التوبة ، يدفعنا إلى الطاعة ، يدفعنا إلى الإنابة إلى الله عز وجل ، لذلك قالوا : من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظةً فمصيبته في نفسه أكبر .

عندئذ حينما لا تحدث المصيبة المصيبة في نفسه موعظةً فذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول :

## ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة السجدة الآية : ٢١]

بالمنطق السليم ، بالفهم الصحيح ، بالإيمان اليقيني الله عز وجل غني عن تعذيبنا ، أما إذا ساق لنا من الشدائد ما لا قبل لنا بتحملة معنى ذلك أن هناك خلا خطيرا في علاقتنا بالله عز وجل ، وفي علاقتنا بمن حولنا ، إذا نرجع إلى الله ، ونتوب إليه حتى يرفع عنا العذاب .

### لكل عصر فرعون :

لكل عصر فرعون ، وقد قال الله عز وجل :

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ \* وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾

[سورة القصص الآيات : ٤ - ٦]

إذاً حتى المصائب التي نراها مؤلمة أشد الألم هي في حقيقتها نعمة باطنة ، هي في حقيقتها تربية إلهية ، هي في حقيقتها سوق للعباد إلى دار الله عز وجل ، هي في حقيقتها معالجة ربانية ، فالإنسان عندما تأتيه المصيبة ينبغي أن يتوب إلى الله ، الأصل أن تهتدي إليه بالبيان الإلهي ، بالشرح ، بالقرآن ، بالسنة ، بكلمة يلقاها عالم جليل ، بكتاب إسلامي تقرأه ، بشرط تسمعه ، بندوة تشاهدها ، بحديث تطالعه ، هذا هو الأصل ، أن تكون الدعوة بيانية ، وحينما تكون الدعوة بيانية ينبغي أن تستجيب لها ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية : ٢٤]

يدعوكم للحياة الحقيقية ، يدعوكم للحياة التي تليق بكم ، يدعوكم للحياة التي خلقتكم من أجلها ، حياة القيم ، حياة القلب ، حياة الروح ، حياة الطاعة ، حياة السمو ، حياة العمل الصالح ، حياة العمل للأخرة :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية : ٢٤]

أيها الإخوة ؛ أقول لكم دائماً : الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح ، نحن نعتقد كما في القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾

[سورة آل عمران الآية : ١١٠]

الحقيقة أن هذه الآية لها علة ، علتها يقول الله عز وجل :

## ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

[ سورة آل عمران الآية : ١١٠ ]

فعلّةُ الخيرية الإيمان بالله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فإن ضعف إيماننا ، إن ضعف توحيدنا ، إن ضعف أمرنا بالمعروف ، إن ضعف أمرنا بالمنكر ، إن أمرنا بالمنكر ، ونهينا عن المعروف ، إذا كان المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، عندئذ لا بد من دفع الثمن ، إذاً الله عز وجل ينتظر منا أن نستجيب له بدعوته البيانية ، فإن لم نستجب له بدعوته البيانية فلا بد من أن يخضعنا للتأديب التربوي :

## ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[ سورة السجدة الآية : ٢١ ]

هذا التأديب التربوي الموقف الكامل منه أن تستجيب لله عز وجل ، أن تعود إليه تائباً ،

## ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً ﴾

[ سورة التحريم الآية : ٨ ]

والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجب والعقيم الوالد والظمان الوارد :

## ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾

[ سورة الزمر الآية : ٥٣ ]

## ﴿ نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

[ سورة الحجر الآية : ٤٩ ]

أيها الإخوة ؛ إن ساق الله لنا دعوة بيانية فينبغي أن نستجيب إليها ، وإن ساق الله لنا شدة تأديبية فينبغي أن نتوب من ذنوبنا ، وقد يخضع الإنسان لمعالجة ثالثة ظاهرها مريح ، لكن باطنها مخيف ، هو الإكرام الاستدراجي ،

## ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا

## هُم مُّبْسُوتُونَ ﴾

[ سورة الأنعام الآية : ٤٤ ]

هذا الإكرام الاستدراجي خطير جداً ، لأن احتمال التوبة في التأديب التربوي أكبر منه في الإكرام الاستدراجي ، أما حينما يدعونا الله دعوة بيانية فلا نستجيب ، وحينما يسوق لنا من الشدائد كي نعود إليه فلا نتوب ، وحينما يكرمنا إكراماً كي نشكره فلا نشكره ، عندئذ لا بد من القضم ، عندئذ يسوق الله لنا شدة قاصمة تنهي الإنسان الضال التائه .

أيها الإخوة الكرام ؛ ينبغي أن نؤمن بالله وحده ، والشيء الدقيق أن الإنسان إذا آمن بالطاغوت فلا يمكن أن يؤمن بالله ، لا يجتمع إيمان بطاغوت في الأرض ، براق ، حياته ناعمة ، يدعي القيم السامية ، يتحدث عن الحرية ، يتحدث عن الديمقراطية ، يتحدث عن حقوق الإنسان ، وهو ليس كذلك ، والأحداث الأخيرة كشفت الحقائق ، إن الله عز وجل يقول :

## ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾

[ سورة البقرة الآية : ٢٥٦ ]

لم تأت الآية : فمن يؤمن بالله فقد استمسك ، لا يمكن أن تؤمن بالله قبل أن تكفر بالطاغوت ، حينما تكون جهة طاغوتية تخطف أبصار العالم ، تدّعي ما ليس عندها ، تدعي من الكمال ما ليس عندها ، حينما تشجع الناس على أن يأتوا إلى بلادها ، حينما تغدق الأموال الطائلة ، حينما تتحدث عن كمال مزيف لابد من كشف حقيقتها ، لابد من أن يسقط القناع ، لابد من أن تظهر الأكاذيب ، لذلك هذا الذي حدث كشف الأفتعة ، وأزال الأكاذيب ، وجعل هذه الجهة القوية الطاغية